فرقة الأحباش

عقيدتهم وأثرهم

دراسة وتقويما

إعداد الدكتورة

أسماء محمد توفيق بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد :

فإن من عظيم ما يمن الله تعالى به على عباده الرغبة في بيان الرشد من الغي والهدى من الضلال خصوصا فيما يتعلق بتصفية العقائد والرجوع بها إلى صفاء اليقين كما كان على ذلك سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فمع مرور الزمن وتداخل الأهواء والبدع ظهرت الكثير من الفرق المناوئة لهدي السلف الصالح في تلقي أصول الدين منهجا وتطبيقا فحرف مؤسسوها الكلم عن مواضعه بما لبسوا على عامة الناس فخاضوا لأجل ذلك بالباطل تارات ، وعزبوا بما احتالوا لأجله عن وضوح الحق وصفائه ، ولكن لا يبدىء الباطل ولا يعيد ، فقد قيض الله تعالى في كل زمن من أهل النصح لدينه والإخلاص لتوحيده ما كشفوا به عن عوار تلك الفرق بما يذهب الاشتباه ويزيل اللبس ، وكان منها فرقة الأحباش التي ظهرت في هذا العصر والتي أرسى قواعدها عبد الله الحبشي حيث استقى منه أتباعه منهجهم في العقيدة والسلوك، فقد اجتهد أعداء الإسلام في مساندة دعاتها ودعمهم بكل ما استطاعوا إليه سبيلا ، لذا تطلعت وأنا في هذه المرحلة التمهيدية لدراسة أهم أفكارها ومبادئها ، مدعمة بردود أهل العلم قديما وحديثا ، وقد سرت لأجل الوصول إلى المأمول على هذه الخطة :

ـ المبحث الأول : التعريف بفرقة الأحباش

المطلب الأول : تعريف بمؤسس الطائفة

المطلب الثاني : نشأة الطائفة وأماكن انتشارها

ـ المبحث الثاني : عقيدة الأحباش في التوحيد:

المطلب الأول : آراؤهم في توحيد الربوبية

المطلب الثاني : آراؤهم في توحيد الأسماء والصفات

المطلب الثالث : آراؤهم في توحيد الإلهية

ـ المبحث الثالث : نقد آرائهم في التوحيد:

الفرع الأول : نقد آرائهم في توحيد الربوبية

الفرع الثاني : نقد آرائهم في توحيد الأسماء والصفات

الفرع الثالث : نقد آرائهم في توحيد الإلهية

ـ المبحث الرابع : آراؤهم في الإيمان بالقدر

ـ آراؤهم في أدلة الإيمان بالقدر

ـ آراؤهم في مسألة خلق أفعال العباد

المبحث الخامس : نقد آرائهم في الإيمان والقدر

ـ المبحث الخامس: أثر الأحباش في الأمة

ـ آثار آرائهم في هدم العقيدة والشريعة

ـ موقفهم من علماء الإسلام .

ـ أقوال أهل العلم فيهم

الخاتمة

المبحث الأول التعريف بالأحباش

أولا : مؤسس الطائفة

قدم له مريدوه في مؤلفاته المطبوعة سيرة مختصرة دون توثيق لها [1] وهذا أهم ما جاء فيها :
هو عبد الله الحبشي الهرري الرفاعي أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمّد بن يوسف بن عبد الله بن جامع الهرري الشيبيّ العبدري

وُلِدَ في مدينة هرر، حوالي سنة ١٣٢٨ هـ ١٩١٠ ر.

حفظ القرءان الكريم وقرأ كتاب ((المقدمة الحضرمية))، وكتاب ((المختصر الصغير)) في الفقه وهو كتاب مشهور في بلاده، ثم حفظ عدداً من المتون في بعض العلوم، ومنها علم الحديث .

جال في أنحاء الحبشة والصومال لطلب العلم وسماعه من أهله وله في ذلك رحلات عديدة ؛فأخذ الفقه الشافعي وأصوله والنحو عن الشيخ محمّد عبد السلام الهرري، والشيخ محمّد عمر جامع الهرري، والشيخ محمّد رشادالحبشي، والشيخ إبراهيم أبي الغيث الهرري، والشيخ يونس الحبشي، والشيخ محمّد سراج الجبرتي، كألفية الزبد والتنبيه والمنهاج وألفية ابن مالك واللمع للشيرازي وغير ذلك من الأمهات.

وأخذ علوم العربية بخصوصٍ عن الصالح أحمد البصير، والشيخ أحمد بن محمّد الحبشي وغيرهما. وقرأ فقه المذاهب الثلاثة وأصولها على الشيخ محمّد العربي الفاسي، والشيخ عبد الرحمن الحبشي.

وأخذ الشيخ عبد الله الحبشي الهرري الأشعري الشافعي الرفاعي علم التفسير عن الشيخ شريف الحبشي في بلد" جِمّه.

وأخذ الشيخ عبد الله الحبشي الهرري الأشعري الشافعي الرفاعي الحديث وعلومه عن كثير من أجلّهم الشيخ أبو بكر محمّد سراج الجبرتي مفتي الحبشة، والشيخ عبد الرحمن عبد الله الحبشي وغيرهما.

---

[1] انظر على سبيل المثال مقدمة كتاب الحبشي : شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله : ٥. ومقدمة كتاب الروائح الزكية في مولد خير البرية :٢ .

وقد أثنى عليه العديد من علماء وفقهاء الشام منهم : الشيخ عز الدين الخزنوي الشافعي ، والشيخ عبد الرزاق الحلبي ، والشيخ أبو سليمان الزبيبي، وكذلك أثنى عليه الشيخ عثمان سراج الدين سليل الشيخ علاء الدين شيخ النبقشندية في وقته .

وقد أخذ الإجازة بالطريقة الرفاعية من الشيخ عبد الرحمن السبسبي الحموي والشيخ طاهر الكيالي الحمصي ، والإجازة بالطريقة القادرية من الشيخ أحمد العربيني والشيخ الطيب الدمشقي وغيرهما .

ورغم ذلك أعدّ الشيخ عبد الله الحبشي الهرري الأشعري الشافعي الرفاعي ءاثارًا ومؤلفات منها:

١. شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث، خ.
٢. قصيدة في الاعتقاد تقع في ستين بيتا تقريبًا، خ.
٣. الصراط المستقيم في التوحيد، طبع.
٤. الدليل القويم على الصّراط المستقيم في التوحيد، طبع.
٥. مختصر عبد الله الهررى الكافل بعلم الدين الضروري، طبع.
٦. بغية الطالب لمعرفة العلم الديني الواجب، طبع.

ويتحدث طلابه عنه أنه كان شديد الورع متواضع صاحب عبادة كثير الذكر يشتغل بالذكر والعلم معا زاهد طيب السيرة لا تكاد تجد له لحظة إلا وهو يشغلها بقراءة أو ذكر أو تدريس أو وعظ أو إرشاد .حاضر الذهن قوي الحجة ساطع الدليل حكيم يضع الأمور في مواضعها شديد النكير على من خالف الشرع ذو همة عالية في الأمر بالمعروف النهي عن المنكر .

وقد طعن في هذه الترجمة التي يقدمها طلاب الحبشي في بداية كل مؤلف ينسب له من عدة أوجه ، أولها أن كاتب هذه الترجمة مجهول لا يعرف ، فلا يستبعد أن يكون هو من ألفها عن نفسه .

ومن جهة أخرى فإن انتسابه إلى قريش ليس له ما يؤيده ، خصوصا وأن الأحباش حين يتكلمون عنه في مجلاتهم المعتمدة لا يذكرون له هذه النسبة.

كما أن القول بأنه كان مفتيا لهرر دعوى منقوضة فقد ورد أنه كان مفتيا للصومال .

وما نسب إليه من التلمذة على كبار العلماء وأخذه عنهم القرآن الكريم والكتب الستة وأنواع العلوم كلها دعاوى نقضها بعض الأكابر من تلك البلاد من أهل الثقة .[٢]

* * * * *

ثانيا : نشأة الأحباش وأماكن انتشارها

[٢] انظر فرقة الأحباش ، د/ سعد الشهراني :(١/٤٠).

يركز اتباع الحبشي كما واضح من المبحث السابق على أن نشأة فرقة الأحباش كانت في أرض الصومال وأنها ترعرعت على أيدي علمائها ووفقا لدعمهم وإرشادهم ، وهذا ما يطعن فيه الكثير من الباحثين فإنهم يرون أن شخصية الحبشي شخصية غامضة لم تكن معروفة كثيراً في العالم الإسلامي أو في شرق إفريقية إلا ما ذكر من أن الرجل ساهم في فتنة المسلمين في أرض هرر ، وأنه حارب أهل السنة بإيعاز من أديس أبابا وتعاون مع الحاكم ادتراجي صهر هيلاسيلاسي ، وسبب إغلاق مدارس تحفيظ القرآن ، حتى عُرف بشيخ الفتنة ، ثم هرب من الحبشة إلى الشام ،. ومما يؤكد أن شخصية الحبشي غامضة ما ذُكر في مجلتهم (منار الهدى) ، حين أجرت مقابلة مع ابنه الذي صرح أنه لم يلتقِ بوالده حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره ! .

وعندما جاء إلى بلاد الشام ، بدأ في نشر عقيدته الفاسدة في سوريا ، حيث وجد بعض القبول عند بعض مشايخ الطرق الصوفية ، وقد تصدى للحبشي وأفكاره المنحرفة الشيخ (محمد ناصر الدين الألباني) ، فإن له عدة ردود عليه ومقالات في نقده ، أهمها : كتاب (تصحيح حديث إفطار الصائم قبل سفره) ، وكتاب (الرد على التعقيب الحثيث) ،حيث رد فيهما على الحبشي ، وبيّن قلة علمه في الحديث .

ولما لم يجد الحبشي في سوريا أرضاً خصبة لترويج عقيدته الفاسدة وأفكاره المنحرفة ، انتقل إلى لبنان واستغل ظروف اضطراب البلاد في حربها الأهلية الأخيرة بعد عام ١٩٧٥م ، واتخذ من بيروت مستقراً له في منطقة (برج أبي حيدر) ،ثم أخذ يتردد على طرابلس ، ويجالس الناس في المقاهي ويجمعهم حوله ، ويؤول لهم الرؤى والأحلام ، ويروي لهم القصص ، فاجتذبهم من هذا الباب ؛ حيث إن عوام الناس بطبعهم يحبون القصص والقصاصين والخرافة وتفسير الأحلام [٣] .

[٣] انظر جماعة الأحباش حقيقتهم واتجاهاتهم ، عبد الرحمن الحجاج .

وقد بدأ أتباع الحبشي أخيراً بتكوين نشاط في بعض الدول الغربية ، مثل الدانمارك ، وسويسرا ، وفرنسا .[٤]

المبحث الثاني : عقيدة الأحباش في الله

أولا : آراؤهم في توحيد الربوبية

يؤكد مؤسس الطائفة الحبشي على أهمية الإيمان بربوبية الله تعالى ، ويبين أن هذا هو أول ما يطلب من العبد إذا صار مكلفا ، يقول :" إنّ أول ما يجب على الإنسان معرفة الله ومعرفة رسوله والنطقُ بذلك مرةً واحدة، ومن حصل منه ذلك مع الاعتقاد الجازم فهو مسلم مؤمن؛ ثم لا يكمل إيمانه وإسلامه إلا بأداء الواجبات واجتناب المحرّمات ".[٥]

ويرى أن معرفة الله تعالى والإيمان بربوبيته لابد فيها من الاستدلال وإن كان يذهب إلى التخفيف في طريقته ، يقول:" وضلت المعتزلةُ باشتراطِ معرفَةِ الدليلِ العقليّ لصحةِ الإيمانِ، وأما أهلُ الحقّ فلا يَشتَرطونَ ذلك ولكنهُم يرونَ الاستدلالَ على وجودِ الله تعالى بدليلٍ عقليّ ولو كان إجماليًّا واجبًا، وهذا الدليل الإجماليُّ حاصلٌ لكلّ مؤمنٍ ولو لم يعرف ترتيبَ هذا الدليلِ كأن يقالَ العالمُ مُتغيرٌ وكلُّ مُتغيرٍ حادثٌ فالعالم حادث فلا بد له من محدِثٍ وهذا المحدِثُ هذا الموجِدُ هو الذي يسمى الله.

فإن من نظرَ بعقلِهِ نظرًا صحيحًا يدلُّه على ذلك. والاستدلالُ الإجماليُّ لا يخلو منه المسلمُ العالِمُ أو العاميُّ ويسمى ذلك الاستدلالُ استدلالا طبيعيًّا. ولا يُتصَوَّرُ فِقدانُ الدليلِ الإجماليّ في مسلمٍ إلا فيمن نشأ على شاهقِ جبلٍ سمع أُناسًا يقولونَ إن للخلقِ ربًّا خلقهم يستحقُّ العبادَةَ عليهم، فصدَّقهُم إجلالا لهم عن الخطَإ واعتقدَ ذلك ولم يتفكر في شيء من الدليل."

---

[٤] انظر شبهات أهل الفتنة ، وأجوبة أهل السنة ، عبد الرحمن دمشقية :٣، ومجلة البيان العدد ١١١:٨، ذو القعدة :١٤١٧.

[٥] مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري ، عبد الله الحبشي : ٢.

وبهذا يتبين موقفه من المقلد ، يقول :" فالمؤمنُ الذي لم يستدلَّ قال أهلُ الحقّ إنَّـهُ عـاصٍ وذلك لأن اللّه تباركَ وتعالى أمَرَ بالتّفكُّرِ في خلقِهِ ليستدلوا بحالِ العالمِ على وجودِ خالقِهِ".[٦].

فمن خلال العرض السابق يتبين أنه يرى الاستدلال على وجود اللّه تعالى يعتمد علـى أسـس فطرية ، ويتضح هذا أكثر عندما يتحدث عن الاستدلال في ضوء الآيات الكريمة ، يقـول :" إنّ اللّه سبحانه وتعالى ظاهرٌ بآياته أي ظاهر بدلائل وجـوده. قـال تعـالى { أَفَلَـمْ يَنْظُـروا إلى السماءِ فوقَهم كيفَ بنَيْنَاها وزيَّنَّاهَا وما لَها من فُروج } سورة ق/٦ وقال تعـالى { اللّهُ الـذي خلقَ سَبْعَ سمواتٍ وَمِنَ الأرضِ مثلَهُنَّ ، يَتَنَزَّلُ الأمرُ بينَهنّ لتَعلمـوا أَنَّ اللّهَ علـى كـل شـيء قدير وأنّ اللّهَ قد أحاطَ بكلِ شيء عِلماً} سورة الطلاق/١٢ : أيها الإنسان، إنّـك إذا تأملـت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبنيِّ المعدِّ فيه جميـع مـا يُحتـاج إليـه فالسماء مرفوعـة كالسقف والأرضُ ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح . وإنك إذا نظـرت إلى مـا هـو أدنى إليك وهي نفسك رأيت فيها من العجائب والآيات الشيء الكـثير. وكـذلك إذا نظـرت إلى مستقرك وهو الأرض وأطلت النظر باسترسال ذهنك فيما جُعل فيها وعليهـا مـن جبـال شامخات وما أحيط بها من بحار وما جرى فيها من أنهار.. ثم إذا نظرت إلى سَعتها وسَعة الشمس متذكراً أنّ الشمس والقمر والنجوم قد حَوَتها السماء، فما عسـاك تقـول حـين تتأمـل وتتفكر في السماء الحاوية لهذا القدر العظيم ؟! أليس اللّه ظاهراً بآياته !! أليس كـل شـيء يدل عقلا على وجوده ، بلى. فكيف ينكر المنكر ويجحد الجاحد ! إنّ في إنكار وجـود اللّه إهدارا لقيمة البرهان العقلي وتضييعا لنعمة العقل[٧]

وقد سار أتباع الحبشي على طريقة شيخهم ، في بيان التوحيد المطلـوب مـن المكلـف وطـرق تحصيله[٨]

* * * * *

[٦] شرح الصفات الثلاث عشر الواجبة لله :

[٧] العقيدة الحقة ، عبد الله الحبشي : ٥.

[٨] انظر فرقة الأحباش ، د/ سعد الشهراني:(١٤١/١).

ثانيا: آرؤهم في توحيد الأسماء والصفات

يؤكد الحبشي على أهمية الإيمان بصفات اللّه تعالى حيث يرتب وجوب العلم بها بعد العلم بربوبية اللّه تعالى ، يقول :" ثم بعد معرفةِ وجودِ اللّه تعالى وتفردِه باستحقاقِ العبادةِ أي نهاية التذللِ يجبُ عليه معرفة بقيةِ الثلاث عَشرَةَ صفة من صفاتِ اللّه وهي: القِدَمُ،

والبقاءُ، والمخالفةُ للحوادثِ، وقيامُهُ بنفسِهِ، والوحدانيَّةُ، والحياةُ، والقدرةُ، والإرادةُ، والعلمُ، والسمعُ، والبصرُ، والكلام"[9].

وهذه الصفات التي يجب أن يتصف بها الخالق سبحانه وتعالى هي صفات كمال وهي صفات أزلية أبدية ، يقول :" إنّ الناظر المتأمل في بدائع المخلوقات وعجائب المصنوعات يجد الآيات البينات والدلائل الدالة على وجود الخالقِ الواحد وقدرته ونفوذِ مشيئته وظهورِ عظمته. وإنّ خالق هذا العالم الذي أبرزه من العدم إلى الوجود لا بد أن يكون متصفا بصفات الكمال التي تليق به والتي لا تشبه صفات المخلوقات.

"فصِفَاتُ اللّه أزَلِيَةٌ أَبدِيَةٌ، لأَنَّ الذَّاتَ أَزَليٌّ فَلا تَحْصُلُ لَهُ صِفَةٌ لَم تَكُنْ في الأَزَلِ، أمَّا صِفَاتُ الخَلْقِ فَهِيَ حَادِثَةٌ تَقْبَلُ التَّطَوُّرَ مِنْ كَمَالٍ إلى أكْمَلَ فَلا يتجدَّدُ عَلى عِلْمِ اللّه تَعَالَى شَىءٌ. واللّه تَعَالَى خَلَقَ كُلَّ شَىءٍ بِعلْمِه الأَزَليّ وقُدْرَتِه الأَزَلِيَّةِ ومَشِيْئَتِه الأَزَلِيَّةِ "

أما طريق الاستدلال على هذه الصفات فالواجب منها هو دليل إجمالي يتحقق به عنده إثباتها على الوجه الذي سبق بيانه من حقائقها ، يقول :" والدليلُ الإجماليُّ لهذه الصفات هو أن يقالَ: لو لم يكُن اللّه تعالى متصفًا بهذه الصفاتِ لم يكنِ العالمُ موجودًا، فهذا الاستدلالُ الإجماليُّ كافٍ للاستدلالِ الواجبِ.

وأما الأدلةُ التفصيليَّةُ فمعرفتُها ليست من فروضِ العينِ بل هي من فروضِ الكفاية، فإذا وُجِدَ في المسلمين من يعرفُ بقية الصفاتِ الثلاث عشرة وما يتبعُ ذلك من أصولِ الاعتقادِ بالدليلِ العقليّ فقد أسقَطَ الحَرَجَ عن غيرِه من المسلمينَ وذلك لأنَّه يحتاجُ إلى ذلك لردّ شُبهِ الملاحِدَةِ والمبتدِعَةِ في الاعتقادِ.

<u>وهذه الصفات الثلاث عشر التي أشرت إليها في أول الحديث هي كالتالي :</u>

"الصفة الأولى: الوجود :

---

[9] شرح الصفات الثلاث عشر الواجبة لله :

الأصلُ الذي تُبنى عليه العقيدةُ الإسلاميةُ معرفةُ الله ومعرفةُ رسولِهِ، فمعرفةُ الله هو العلمُ بأنه تعالى موجودٌ، فيجب اعتقادُ أنه تعالى موجودٌ في الأزلِ أي لا ابتداءَ لوجودِهِ ، قال تعالى: ﴿أفي الله شَكٌّ﴾ وقال: ﴿هو الأوَّلُ﴾ أي هو الذي لا ابتداءَ لوجودِهِ .

الصّفَةُ الثانِيَةُ: القِدَمُ

القِدمُ معناهُ الأزلية فإذا قيل الله قديمٌ معناه لا ابتداءَ لوجودِهِ، هذا في حق الله أما في حق غيره إذا قيل قديمٌ فمعناه مضى عليه زمانٌ طويلٌ، كذلك الأزليُّ، فالله تعالى هو الأزليُّ بهذا المعنى أي لا ابتداءَ لوجودِهِ فلا أزلي إلا الله.

الصفةُ الثالثةُ: البقاءُ

البقاءُ معناه لا نهايَةَ لوجودِهِ تعالى لأنَّ ما ثبتَ له القِدَمُ وجبَ له البقاءُ فيمتَنِعُ عليه العدَمُ أي يستحيلُ عليه العدمُ.

والبرهانُ على وجوبِ البقاءِ لله تعالى من المنقولِ قولُ الله تعالى ﴿ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلال والإكرام﴾ الوجهُ هنا معناه الذاتُ، وقال البخاريُّ: : "إلا مُلكَهُ، ويقال: إلا ما أريدَ به وجهُ الله"، وأما برهانُ البقاءِ العقليّ فهو أن يقالَ: لو لم يكنِ الله تعالى باقيًا لم يكنِ العالمُ موجودًا لكنَّ العالمَ موجودٌ فثبتَ أن الله تعالى باقٍ.

الصفةُ الرابعةُ: الوحدانيةُ

ومعناه أنَّ الله تبارك وتعالى ليسَ له ثانٍ وليسَ مركَّبًا مؤلَّفًا كالأجسامِ كالعرشِ والكرسيّ والجنةِ والنارِ والسمواتِ السبعِ والإنسانِ والملائكةِ والجنّ فإنَّ هؤلاء أجسامٌ مؤلفةٌ أي تقبلُ الانقسامَ . العرشُ الكريمُ مؤلَّفٌ من أجزاء فيستحيلُ أن يكون بينه وبين الله مناسبةٌ كما يستحيلُ على الله تعالى أن يكون بينَه وبين شيءٍ من سائر خلقِهِ مناسبةٌ.

الصفةُ الخامسةُ: القيامُ بنفسه تعالى

أي الاستغناءُ عن كلّ شيءٍ، فاللّه تبارك وتعالى مستغنٍ عن كل شيءٍ ومحتاجٌ إليه كلُّ شيءٍ سِواهُ، فلا يحتاجُ إلى مخصّصٍ له بالوجودِ لأنَّ الاحتياجَ إلى الغيرِ ينافي قِدَمَهُ، إذْ الاحتياج للغيرِ علامةُ الحدوثِ واللّه تباركَ وتعالى منزهٌ عن ذلك، وقد ثبتَ وجوبُ قِدَمِهِ وبقائهِ.

الصفةُ السادسةُ: مخالفتهُ للحوادِثِ

أي لا يُشبه المخلوقاتِ، والدليلُ العقليُّ على ذلك أنه لو كان يشبهُ شيئًا من خلقِهِ لجازَ عليه ما يجوزُ على الخلقِ من التغيُّرِ والتطورِ والفناءِ، ولو جازَ عليهِ ذلك لاحتاج إلى من يُغَيِّرُهُ والمحتاجُ إلى غيره لا يكونُ إلها فثبت أنه لا يشبهُ شيئًا.

الصفةُ السابعةُ: الحياةُ

الحياةُ في حقّ اللّه تعالى صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ ليست كحياةِ غيرِهِ بروحٍ ولحمٍ ودمٍ.

الصفة الثامنةُ: القُدرةُ

وهي صفةٌ أزليّةٌ ثابتةٌ لذاتِ اللّه تعالى ويصحُّ أن يقال قائمةٌ بذاتِ اللّه تعالى لأن المعنى واحدٌ لكن لا يقالُ ثابتةٌ في ذاتِ اللّه، والقدرة يتأتى بها الإيجاد والإعدامُ أي يوجدُ بها المعدومَ من العدمِ ويُعدمُ بها الموجود.

الصفةُ التاسعةُ: الإرادةُ

الإرادةُ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتِ اللّه أي ثابتةٌ لذاتِهِ يخصصُ بها الممكن العقليَّ بصفةٍ دونَ صفة، لأنَّ الممكناتِ العقليةَ كانت معدومةً ثم دخلت في الوجودِ بتخصيصِ اللّه تعالى لوجودِها إذ كانَ في العقلِ جائزًا ألا توجدَ فوجودها بتخصيصِ اللّه تعالى.ٌ.وأما البرهانُ النقليُّ على وجوبِ الإرادةِ للّه فكثيرٌ من ذلك قولُه تعالى: ﴿فَعَّالٌ لما يُرِيدُ﴾ أي أنه تبارك وتعالى يُوجدُ ويفعلُ المكوناتِ بإرادتهِ الأزليةِ.

الصفة العاشرةُ: العلمُ

العلم صفةٌ أزليةٌ ثابتةٌ للّه تعالى

الصفةُ الحاديةَ عشرةَ: السمعُ

وهو صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتِ اللّه أي ثابتةٌ له تتعلقُ بالمسموعاتِ، وقال بعضُ المتأخرينَ: تتعلقُ بكلِ موجودٍ من الأصواتِ وغيرها، ولا يجوزُ أن يكونَ سمعُهُ تعالى حادثًا كسمع خلقِهِ، ولا يجوزُ أن يكونَ بآلةٍ كسمعنا فهو يسمعُ بلا أُذُنٍ ولا صِماخٍ،

الصفةُ الثانيةَ عشرةَ: البصرُ

معناهُ الرؤيةُ، والبصرُ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ متعلقٌ بالمبصراتِ فهو تباركَ وتعالى يرى ذاته الأزليَّ ويرى الحادثاتِ برؤيتِهِ الأزليةِ، وليسَ بصرهُ كبصرِ خلقِهِ لأن بصرَ خلقه بآلة يكون بالعين.

والدليل على ثبوتِ البصر لهُ من حيث العقلُ أنه تبارك وتعالى لو انتفى عنهُ البصرُ لاتصفَ بضدِهِ وهو العَمَى أي عدمُ الرؤية وذلك نقصٌ والنقصُ محالٌ على الله.وأما برهانُ البصرِ النقليُّ فالآياتُ والأخبارُ الصحيحةُ الكثيرةُ كقولِ اللّه تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البصير﴾،.

الصفةُ الثالثةَ عشرةَ: الكلامُ

يجبُ للّه تعالى الكلامُ وهو صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ لا يشبهُ كلامَ المخلوقينَ ويُعبرُ عنهُ بالقرءانِ وغيرِهِ من الكتبِ المنزلةِ"[10].

أما عن الصفات الخبرية كصفة العلو والاستواء و النزول واليد والعين، فهو يرى تأويلها كما يذهب إلى ذلك الأشاعرة ، يقول :" أي سادة نزهوا اللّه عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم عن تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول تعالى اللّه عن ذلك ، وإياكم والقول بالفوقية والسفلية

---

[10] انظر شرح الصفات الثلاث عشر الواجبة لله :١٣:١.

والمكان واليد والعين بالجارحة والنـزول والإتيان والانتقال ، ..،قال الشيخ عبد الغني النابلسي : فينزه الله سبحانه وتعالى عن جميع الأزمنة الحاضرة والماضية والمستقبلة وكذلك عن جميع الأمكنة العلوية والسفلية وما بينها [١١] .

* * * * *

ثالثا : آراؤهم في توحيد الألوهية

لا يفرق الحبشي بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية اتباعا للأشاعرة ، ومن ذلك أنه يعبر بالألوهية عن الربوبية ، يقول في معرض التأكيد على أزلية أفعال الله تعالى :" لأَنَّ حدوثَ صفة في اللّه يستلزم حدوثَ ذاته، والحدوث ينافي الألوهيّة".[١٢]

ويظهر هذا أيضا في تفسيره للشهادة ، يقول :" ثمّ إنّ النطق الذي يجب على الكافر يحصل بلفظ: أشهد أنْ لا إله إلا اللّه وأشهد أنَّ محمدًا رسول اللّه باللغة العربيّة وبترجمته لغيرها من اللّغات، وعند بعض الشافعيّة إن كان يعرف النطق بالعربيّة لا ينطق بغيرها، فمن كان أعجميًّا يقول: (أنّ محمدًا) بالهاء يُقال له: قُلْ: (أبا القاسم) ويضيف: (رسول اللّه). وإذا لم يكن يأتي بهاء لفظ الجلالة (اللّه) فيكفي ترجمته بلغته. وليس يُشترط خصوص هذا اللفظ بل يكفي ما يعطي معناه كأن يقول: لا ربّ إلا اللّه ، أو: لا خالق إلا اللّه...."[١٣]

---

[١١] انظر بتصرف وترتيب : إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان من القرآن والحديث ومن أقوال السلف ، عبد الله الحبشي :١:٢٠.

[١٢] العقيدة الحقة : عبد الله الهرري:١.

[١٣] مختصر عبد الله الهرري : ٣.

ومع أنه يقر بأن الشهادة تدل على معنى تعبدي قصدي إرادي زائد على **التصديق بربوبية الله تعالى ، ولكنه يحصره في نوع واحد من أنواع الإرادات؛ وهو التذلل ، يقول:** "معنى قول الفقهاء: لا معبودَ بحقّ إلا الله ، لا يستحق أحدٌ أن يُعبَد أي أن يُتذلّل له نهاية التذلّل إلاّ الله كما قال بذلك الإمام الفقيه تقي الدين السبكي: العبادةُ أقصى غاية الخشوع والخضوع"

وبالتالي فإن مفهوم الشرك عنده يضيق فلا يكاد يدخل فيه إلا المناقضون لحقائق التصديق بربوبية الله تعالى ، وبالتالي فإن نقمته تزداد على من خالفه في حقيقة التوحيد ونواقضه ، يقول: " ولو كان معنى العبادة مطلق الطاعة لمخلوق في أيّ شيء طاعة أو معصية لكان عمّال الحكّام الجائرين كفّارًا، فهل يقول هؤلاء الذين يكفّرون المتوسلين بالأنبياء والأولياء إنهم مشركون، أَلَيس هؤلاء هم أنفسهم يطيعون الحكّام في بعض المعاصي فيكونون كفَّروا أنفسهم وإن لم يشعروا.

وممّن فسر العبادة بذلك الراغب الأصبهاني وهو لغوي مشهور يكثر النقل عنه صاحب شرح القاموس مرتضى الزبيدي قال في تأليفه مفردات القرءان: العبادة غايةُ التذلّل. فهؤلاء الذين يكفّرون المستغيثين بالأولياء والأنبياء ليتعلّموا معنى العبادة في لغة العرب قبل إطلاق ألسنتهم بالتكفير، وهذا معنى العبادة المُرادة بقوله تعالى: **{لا إله إلا أنا فاعبدون}** [سورة الأنبياء] وبقوله تعالى: **{إياك نعبد}** [سورة الفاتحة]، وهذه هي العبادة المختصّة لله تعالى التي من صَرَفها لغيره صار مشركًا، وليس معناها مجرّد النداء أو الاستعانة أو الاستغاثة أو الخوف أو الرَّجاء كما زعم بعض النّاس أن مجرّد نداء شخص ميت أو غائب شرك، وكذلك استعانته به إلا بالحيّ الحاضر حتى لو قال قائل: يا محمّد صار عندهم كافرًا وكذا لو قال قائل: يا رسول الله المدد صار كافرًا عندهم. وهؤلاء جاهلون بمعنى العبادة في لغة العرب، قال الليث وهو إمام من أئمة اللغة متقدّم: ويُقال للمشركين هم عَبَدَةُ الطاغوت ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله . وقال الله عزّ وجَلّ: **{اعبدوا ربكم}** [سورة البقرة] أي أطيعوا ربّكم، وقوله: **{إياك نعبد وإياك نستعين}** [سورة الفاتحة] أي نطيع الطاعة التي

يُخضَع معها. اهـ. قال ابن الأثير: والعبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، وفي المصباح للفيُّومي أحد مشاهير اللغويين: عبدت الله أعبده عبادة وهي الانقياد والخضوع، وفي تاج العروس مع القاموس: والعِبادة بالكسر الطاعةُ... إلخ.

فإن قال هؤلاء وأمثالهم: أَلَيْس وردَ في تفسير **{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله}** [سورة التوبة] أنّ عبادتهم لهم طاعتهم فيما حرّموا وحلّلوا من تلقاء أنفسهم. فالجواب أنّ ذلك داخل تحت هذا التعريف: الانقياد والتذلّل، فإنهم انقادوا لهم في ذلك، تذلّلوا لهم لأنهم كانوا يعتقدون أنّهم يستحقّون أن يُطاعوا في ذلك حقيقة وليس الذي حصل منهم مجرد أنهم أطاعوهم فإن المسلم قد يطيع من له عليه رئاسة في المعصية لكنه لا يطيعه على الوجه الذي أطاعته النصارى أحبارهم ورهبانهم فلا يكونون عابدين لرؤسائهم كأولئك. وكذلك مجرّد الطاعة لمخلوق في المعصية ليس عبادة له وإشراكًا بالله. هذا وإني لأعجب من هؤلاء الذين يكفّرون المسلمين لمجرد التمسّح بقبر وليّ أو قولهم: يا رسول الله المدد، فإذا كان الرسول لم يكفِّر معاذًا حين سجد له والسجود من أعظم مظاهر التعظيم فكيف يكون ذلك كفرًا عندهم، سبحانك هذا بهتان عظيم.[14]

[15]

نقد آرائهم في الإيمان بربوبية الله تعالى

لما كانت معرفة الله تعالى هي أساس الإيمان به ؛ كان من رحمته عز وجل أن فطر الناس علي تلك المعرفة وجبلهم على الإقرار بها ، ولمكانة هذا الأصل وماله من أهمية ، وجدت أدلته كثيرة ، ومتنوعة الدلالة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفي أقوال السلف المتقدمين ، بل وفي حال الأمم السابقة واللاحقة ؛ لذلك كان

---

[14] مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري : ٢٤.

[15] مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري :١٠. وانظر العقيدة الحقة .

معتقد أهل السنة والجماعة في المسألة مقتضى تلك الأدلة وهو الإقرار بفطرية معرفته سبحانه .

و من تلك الأدلة التي تقرر هذه الحقيقة ، قوله تعالى : {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (الروم: ٣٠)

حيث فسرت الفطرة هنا بالإسلام و كان هذا هو قول كبار السلف من الصحابة والتابعين فقد روي عن : أبي هريرة ، ومعاذ بن جبل ، وعكرمة ، و مجاهد ، والحسن وهذا " هو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل "[١٦]

ويستند تأويل الفطرة المذكورة في الآية الكريمة بالإسلام إلى وجود الأمر بالالتزام به ؛ وبيان أن الله تعالى قد فطر الناس عليه وجبلهم على التمسك به، فيصبح الأمر بالإيمان هو أمر بمقتضى تلك الخلقة التي جبلوا عليها ، فيتحقق بذلك التلازم بين الأمر بالإسلام دين الله ، وكونه فطرة قد جبل الناس على الإقرار بها، يدل على هذا حذف العامل فإنه لا يحذف فى لغة العرب إلا إذا كان معلوما من سياق الكلام .

يقول الشيخ السعدي ـ رحمه الله ـ :" وهذا الأمر الذي أمرناك به . هو " فطرت الله التي فطر الناس عليها} ووضع في عقولهم حسنها ، واستقباح غيرها "[١٧].

فينتفي بذلك وجود الموانع من داخل النفس البشرية . و لكن مع ذلك إذا تمكنت الشبهات من النفس البشرية ، واستطاعت أن تحجب تلك الحقيقة لوجود الموانع الصارفة من الخارج ؛ أمكن حينئذ تدخل طرق المعرفة الأخرى من النظر أو الكشف ، فقط لتزيل ذلك الحجاب ، وتنبه النفس من تلك الغفلة التي عرضت لها.

ومما يشهد لذلك حال الرسل صلوات الله و سلامه عليهم ـ الذين هم أعلم الناس بالله تعالى و ما يجب في حقه ـ في دعوتهم للأمم ، حيث افتتحوا تلك الدعوة بالأمر بالتوحيد الذي يعني في حقيقته إخلاص العبادة لله وحده، مما يدل على أن تلك الأمم

---

[١٦] التمهيد: (٧٢/١٨).

[١٧] تيسير الكريم الرحمن :٦٩٩.

كانت مقرة بربوبية الله تعالى على خلقه ، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت} (النحل: ٣٦)

ومن هنا يتبين خطأ الحبشي حين جعل أول الواجبات هو معرفة الله تعالى ، فإن القول بأن أول الواجبات هو : النظر، أو القصد إليه أو معرفة الله تعالى ، فغير صحيح ، بل الذي يراه المحققون من أهل السنة و الجماعة استنباطاً من أدلة الكتاب والسنة ، والتي هي بحق العمدة في المسائل التي تعد من أصول الدين ، أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله تعالى ، وإفراده بالعبادة ، وإن حصل منه ذلك قبل التكليف لم يطالب بالتجديد وإنما بالاستمرار والمثابرة .

وهذا الأصل هو مقتضى التسليم بدلالة النصوص الشرعية ، التي تقرر مكانة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة ، وأنه منهج الرسل جميعاً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في مبدأ دعوتهم أقوامهم إلى الله ، فكل نبي يبدأ دعوته بالتوحيد قائلاً : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} (الأعراف: ٥٩) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :" والنبي لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ، ولا إلى مجرد إثبات الصانع ، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان ، وبذلك أمر أصحابه ، كما قال في الحديث المتفق على صحته لمعاذ ابن جبل ـ رضي الله عنه ـ لما بعثه إلى اليمن : إنك تأتي قوماً أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم[١٨] ".[١٩]

---

[١٨] البخاري :كتاب الزكاة .باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة :١٤٥٨،وباب أخذ الصدقة من الأغنياء و ترد في الفقراء :١٤٩٦.

[١٩] الدرء:(٦/٨).

أما عن الدليل الذي ذكره الحبشي في الاستدلال على وجود الله تعالى فهو دليل المتكلمين وإن كان قد تجنب شرح مقدماته وما تتضمنه من أصول معتمدة عندهم ، ويكفي هنا أن أشير إلى بدعية هذا الدليل وأنه من الأدلة التي أحدثها المتكلمون والتي يغني عنها أدلة القرآن الكريم وإن ك قد أشار الحبشي إليها في معرض تأمله بأدلة النظر في القرآن، فإن حديث القرآن عن معرفة الله تعالى ، والاستدلال على وجوده ، يتسم بأنه خطاب موجه للفطرة المغروسة في النفس البشرية ، فجل ما يفيده في هذا المجال هو تنبيه العقل لإدراك هذه الحقيقة الكامنة فيه إن غفل عنها، وغابت معالمها في نفسه ، ومن ثم إلزامها بما يقتضيه هذا الإقرار من التزام بأوامر الشرع المطهر ، فدليل الخلق والإيجاد ، يعتمد على مقدمتين ، دلالة كل منهما تستند إلى اليقين ، وهما : أن ما يشاهد من الموجودات مخلوق ، وأنه لابد لكل مخلوق من خالق .

وهناك دليل آخر له ارتباط وثيق بدليل الخلق ، وهو دليل الإتقان والإحكام وذلك من جهة اشتمال المخلوقات على ما هي عليه من الإحكام والإتقان ، ومن ثم الاستدلال بذلك على وجود مبدع لها ، أحكم و أتقن صنعها ، يقوم هذا الدليل كسابقه على مقدمتين دلالتهما يقينية : أما المقدمة الأولى : وهي أن كل ما هو مشاهد من المخلوقات قد أحكم خلقه وأتقن وأما المقدمة الثانية ، وهي أن كل ما أحكم صنعه وأتقن فإنه يدل على وجود بديع أبدعه[٢٠] .

أما عن إيجاب النظر فقد حكى إجماع عامة المسلمين على أن النظر لا يجب في حق من آمن إيماناً جازماً، الإمام ابن حزم حيث قال : " وقال سائر أهل الإسلام : كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه ، و قال بلسانه: أشهد أن لا اله إلا الله ، و أن محمداً رسول الله ، وأن كل ما جاء به حق ، وبريء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه مسلم مؤمن ، ليس عليه غير ذلك "[٢١]. والحق الذي عليه المعول ، أن النظر قد يجب في بعض الأحيان ، وعلى بعض الأعيان ، قال تعالى : {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ

---

[٢٠] انظر المعرفة في الإسلام ، د/ عبد الله القرني ، مبحث الاستدلال على وجود الله تعالى .

[٢١] الفصل في الملل :(٣٥/٣).

الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ.أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (الروم:٧ــ٨) ، وقد استدل شيخ الإسلام بهذه الآيات الكريمة على ما ذكرته ، وبين أن الشاهد من الآية هو عود الضمير في قوله: { يتفكروا} على الكفار الذين وصفهم المولى بقوله : {يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا } [٢٢].

ولا شك أن الآيات التي تحث القلب على النظر و التدبر و التفكر كثيرة في كتاب الله تعالى ولكن المراد منها بعيد كل البعد عما يقصده المتكلمون ، فهذه أدلة القرآن الكريم تخاطب الفطرة البشرية التي شهدت بربوبية خالقها منذ أن عرفت الوجود و ذاقت طعم الحياة بالتفكر و التدبر في هذا الخلق المحكم حتى تصل بذلك إلى اليقين والاطمئنان ، فيظهر أثر ذلك عليها علماً بما يجب في حق الله تعالى ، وعملاً بما يرضي الله تعالى.

نقد آرائهم في توحيد الأسماء والصفات

يعد الإيمان بأسماء الله تعالى و صفاته الحسنى ، كما وردت في الكتاب والسنة ، من غير تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف، من أهم الأصول التي ينبني عليها معتقد أهل السنة والجماعة، فيما يجب في حق الله عز و جل.

فالإيمان بها يقتضي الإثبات ، وهذا الإثبات لا بد فيه من التزام عدم الخروج عن مراد الرب تعالى في ما أثبته لنفسه من الصفات الحسنى ، كما أنه يقتضي التنزيه الواجب في حق الباري تعالى الذي عز عن المثيل والنظير ، يقول الإمام الشنقيطي رحمه الله في بيان أسس الإيمان بأسماء المولى جل وعلا : " أحد هذه الأسس :

ـ هو تنزيه الله جل وعلا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين ، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}(الشورى:١١).....

[٢٢] انظر درء تعارض العقل والنقل (٨/٨).

ـ الثاني من هذه الأسس هو الإيمان بما وصف الله به نفسه ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله : {أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } (البقرة:١٤٠)

والإيمان بما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه : {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } (النجم:٣-٤)

فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله تعالى به نفسه ، أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينزه ربه تعالى عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين "

وتستند أهمية الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى، إلى كونها من صميم الإيمان به سبحانه ،فلا يصح الفصل بين العلم بها وبين العلم بوجوده تعالى خصوصا ما يدل منها على صفات الربوبية لله تعالى، وبهذا يظهر الخلل في كلام الحبشي حين جعل الإيمان بها بعد مرتبة الإيمان بربوبية الله تعالى . كما أن معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، هي أساس ما يقوم بقلب العبد من عبودية لله تعالى ، تقتضي إفراده سبحانه بالعبادة ، ولعل هذا من أسرار ختم غالب آيات الكتاب الحكيم بذكر أسمائه جل شأنه.

فإن العبد عند توجه الخطاب له بالتكليف ، فالذي يحمله على الامتثال لمقتضى الخطاب من الترك إذا كان نهيا ، أو الفعل إذا كان أمرا إنما يتحصل منه لما استقر في فطرته من كونه تعالى عالما محصيا سميعا بصيرا بكل ما يصدر منه من صغير أو كبير ، ومن هنا كانت أهمية الإيمان بهذه الأسماء وترتب الثواب الجزيل على إحصائها بدخول الجنة .

أما التقسيم الذي ذكره الحبشي في الصفات فقد تابع الأشاعرة فيه، حيث يجمع الأشاعرة على إثبات سبع صفات[٢٣] من الصفات الوجودية ، وهي ما تسمى بالمعاني ، وبيانها كالتالي : العلم والإرادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر.

أما في باب النفي فيثبتون خمس صفات سلبية يتم بها تنزيه المولى ـ عندهم ـ عن كل نقص ، وهي إثبات : القدم والبقاء والوحدانية ومخالفة الحوادث والقيام بالنفس[٢٤]

وهناك صفة نفسية ، يعنون بها الوجود مع اختلاف وقع بينهم في تسمية المراد منها بذلك الاسم ، يقول الجويني :" والوجه المرضي أن لا يعد الوجود من الصفات ، فإن الوجود نفس الذات "[٢٥].

ولكن هذا التقسيم إنما تم بيانه على يد متأخري الأشاعرة ، كاللقاني والدردير .

وما خلا ذلك من الصفات ، فإنهم يرجعونه إلى الأفعال والاختيارات ، فلا يعتقدون فيها إثبات صفة على جهة الحقيقة ؛ لذا يعمد أكثرهم إلى تأويلها بما يعتقدون فيه تنزيه المولى عن صفات الحوادث [٢٦].

وقد فصل الغزالي حجتهم في نفي ما عدا هذه الصفات السبع بإرجاع ما أثبت فيه حقه تعالى إليها، فقال:" لعلك تقول: هذه أسماء كثيرة ، وقد منعت الترادف فيها وأوجبت أن يتضمن كل واحد معنى آخر ، فكيف يرجع جميعها إلى سبع صفات؟ فاعلم أن الصفات إن كانت سبعاً ، فالأفعال كثيرة ، والإضافات كثيرة ، والسلوب كثيرة ، ويكاد يخرج جميع ذلك عن الحصر ، ثم يمكن التركيب من مجموع صفتين أو صفة وإضافة أو صفة وسلب أو سلب وإضافة ،ويوضع بإزائه اسم ، فتكثر الأسامي بذلك ، وكان مجموعها يرجع إلى ما يدل منها على الذات، أو على الذات مع سلب ، أو على الذات مع

---

[٢٣] الصفة في اللغة تعني [الحالة التي عليها الشيء من حليته و نعته] : المفردات للأصفهاني :٥٢٥.وعرفها الجرجاني بأنها :[الصفة : هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات ، و ذلك نحو طويل و قصير .. وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها]، التعريفات :١٧٣.

[٢٤] الإرشاد للجويني :٣١-٣٣-٣٤-٥٢.

[٢٥] المرجع السابق :٣١.

[٢٦] انظر : شرح المقاصد للتفتزاني :(٦٩/٤).

إضافة ، أو على الذات مع سلب وإضافة ، أو على واحد من الصفات السبع ، أو على صفة وسلب ، أو على صفة وإضافة ، أو على صفة فعل ، أو على صفة فعل وإضافة أو سلب ، فهذه عشرة أقسام "[27] إلى آخر ما ذكر.

والحبشي هنا لم يفرق بين الصفات السلبية وصفات المعاني ولكن ما ذكره في معناه لا يخرج به عن مراد الأشاعرة منها ، فإن إرادة التنزيه في الصفات الخمس واضحة جلية في كلامه ، ويمكن إجمال الرد الموجه لهذا التفصيل في التنزيه وقصره على هذه الصفات بعينها ببيان امتناع قصر نفي النقائص عن الله تعالى بإثبات هذه الصفات دون غيرها ، إذ جميع ما يوصف به المولى تعالى من الصفات إلى جانب إثباته للصفة الوجودية من الكمال فإنه ينفي عنه صفة نقص لا تليق به ، فصفة العلم تنفي عنه الجهل ، والحياة تنفي عنه الموت ، والسمع والبصر إلى آخر ما اتصف به المولى تبارك وتعالى .

ولا شك أن طريقته تعتمد على التفصيل في النفي ، وهذا ما يخالف مقتضى تعظيم الله تعالى و إجلاله ، كما دل عليه الكتاب و السنة؛ إذ يعتمد تنزيه الله تعالى وتعظيمه فيهما على النفي المجمل ، الذي يستوعب جميع أفراد النقص التي ينزه المولى عن الاتصاف بها ، ومع ذلك يتعدى إلى إثبات ما يقابل هذه الصفات من كمال ؛ إذ السلب المحض لا يعد كمالاً في حق من وصف به إلا أن يؤدي إلى إثبات ما يقابله من كمال[28] ،وهذه هي طريقة القرآن الكريم التي نبه إليها وأمر بها في كثير من الآيات ، قال تعالى : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً } (مريم: ٦٥) ، وقال : {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} .

كما أن في طريقة الهرري استخدام المصطلحات الكلامية في نفي ما اعتقد أن في إثباته ما يوهم مماثلة الحوادث ، حتى جعل هذه المصطلحات : كالجرم ، والعرض ، والجهة، والمحل ، مقياساً ومرجعاً في كل ما يجب أن يمتنع المولى سبحانه من الاتصاف

---

[27] المقصد الأسنى:١٥٧.

[28] انظر : التدمرية ، لشيخ الإسلام : ٥٧.

به ؛ فكل معنى يستلزم عنده وصفه تعالى بإحدى هذه المصطلحات وجب نفيه وإبطاله ، فإن كان مما ورد به نص الكتاب والسنة عطل بطريق التأويل أو التفويض .

ومن ذلك أنه حين التزم نفي الجرم والعرض والكمية والكيفية عن الله تعالى ، قام بتعطيل الباري تعالى عن بعض صفات الذات الخبرية ، كالوجه والساق واليد، وكذلك صفات الأفعال الخبرية كالنزول والاستواء ، إلى غير ذلك حيث اعتقد أن في إثباتها ما ينفي مخالفته للحوادث .

ولا شك أن في ذلك انحرافا عن منهج التلقي الذي يعتمد في كل ما يجب أن يتصف به المولى على ما ورد به نص الكتاب والسنة ، فالله تعالى أعلم بما يجب أن يتصف به ، أو يمتنع عنه ، وكذا نبيه عليه الصلاة والسلام الذي أتم في ذلك البيان . هذا إلى جانب أن هذه الصفات التي نفوها لأنها من الأعراض والحوادث هي من صفات الكمال التي يعد نفيها نقصا ينزه المولى تعالى عنه ، يقول شيخ الإسلام : " وبكل حال فمجرد هذا الاصطلاح ، وتسمية هذه ـ أي الصفات الاختيارية ـ أعراضاً وحوادث لا يخرجها عن أنها من الكمال الذي يكون المتصف به أكمل ممن لا يمكنه الاتصاف بها ، أو يمكنه ذلك ولا يتصف بها ".[29]

وقال ابن القيم رحمه الله في من نفى اليدين والوجه بحجة التجسيم والكمية: " وسموا الموصوف بالصفات جسما ، وسموا من له وجه ويدان جسما ، ثم نفوا الجسم عن الصانع ، وأوهموا أنهم ينفون معناه لغة وقصدهم نفي معناه اصطلاحا ؛ فسموه بخلاف اسمه في اللغة ، ونفوا به ما أثبته الرب لنفسه من صفات الكمال ، وكذلك سموا صفاته أعراضا ؛ ثم نفوا عنه الأعراض بالمعنى الذي اصطلحوا عليه ،لا بالمعنى الذي وضعت له ألفاظ الأعراض في اللغة ، وكذلك سموا أفعاله حوادث ثم نفوها عنه بالمعنى الذي اصطلحوا عليه لا بمعناه في اللغة "[30]

---

[29] مجموع الفتاوى : (٦/٩٤).

[30] الصواعق المرسلة: (٢/٦٧٣).

ـ وتبقى مناقشته في بعض ما يتعلق بإثباته الصفات السبعة على الوجه المعتمد عند الأشاعرة ، وذلك في صفتي الإرادة والكلام ، أما في صفة الإرادة فقد أثبتها على أنها صفة قديمة وهذا حق ولكنه نفى تعلقها بالحدوث ؛ وبالتالي فإن حقيقة ما يؤول إليه إثباته لصفة الإرادة على هذا الوجه الذي ذكروا أمر محدث مخالف للأدلة الشرعية والعقلية، ومن ذلك قول الله تعالى : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (يس: ٨٢) ، فإن كلمة إذا " ظرف لما يستقبل من الزمان . فقوله : {إذا أراد} ونحو ذلك يقتضي حصول إرادة مستقبلة ومشيئة مستقبلة".[٣١][(1)]

فإن اعتقاد قدم الباري تعالى وحدوث كل هذه الموجودات على جهة الاختيار والإرادة ؛ ملزم باعتقاد اتصافه تعالى بإرادة حادثة ، ينتج عنها فعل حادث مخصص لحدوث هذه المخلوقات وقت خروجها من العدم إلى الوجود ، وهذا لا ينافي اتصافه تعالى بإرادة قديمة " فإن إرادته للمستقبلات هي مسبوقة بإرادته للماضي "[(2)]

واعتقاد خلافه يلزمه أحد أمرين : إما حدوث المخلوقات بلا سبب يخصص أحد الأوقات وهذا مما لا يقبله العقل ، وإما أن يمتنع القول بحدوث الموجودات ويحكم لها بالقدم مماثلة لقول الفلاسفة الملحدين ، ولما علم أن هذا ليس هو اعتقاد المتكلمين من الأشاعرة حيث كانوا من أشد الناس عداء لهم ، لزم عليهم اعتقاد الأول ، وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا القول من الأشاعرة كان سببا لهجوم عنيف شنه عليهم المخالفون في حدوث العالم ، وهذا ما كان من ابن رشد الذي تحدث على لسان الفلاسفة حيث ألزم المتكلمين بلوازم مذهبهم الباطل ، وبين أن هذا الاعتقاد لا يسلم لهم القضية الكبرى التي لا ينازع فيها أحد ، و هي اعتقاد أن كل حادث له محدث .

---

[٣١] جامع الرسائل ، ابن تيمية :(١٤/٢)

(1) المرجع السابق :(١٤/٢).

(2) انظر جامع الرسائل : (٣٩/٢).

وأما زعمه بأن الكلام يطلق مجازاً على القرآن بأنه عبارة عن كلام الله وليس على جهة الحقيقة ؛ فهو يرجع إلى اعتقاد أن معناه من الكلام القديم أما لفظه فحادث مخلوق ، أنزل من عند الله إعجازاً . وهذا فيه مجانبة للحقيقة ؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى لفظاً ومعنىً ، قال تعالى : {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ}(التوبة:٦) وفي هذا دليل بين " على أن ما نتلوه و نسمعه هو حقيقة كلام الله تعالى ، وليس بعبارة عنه ". [٣٢]وقد أنكر الإمام أحمد على من قال بهذه المقولة ، وحكم عليه بالابتداع واتباع المعطلة الجهمية ، وكثيرا ما كان يستدل بهذه الآية الكريمة في هذا الصدد [٣٣].

نقد آرائهم في توحيد الألوهية

يقسم التوحيد باعتبارين : أولا : باعتبار متعلقه ؛ إلى توحيد ربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد أسماء وصفات .

الثاني ؛ باعتبار ما يجب على العبد ، إلى توحيد علمي وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وتوحيد عملي وهو توحيد الألوهية .

ويعني توحيد الربوبية : توحيد الله تعالى بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} .

أما توحيد الألوهية ؛ فهو توحيد الرب تعالى بأفعال العباد ، فهو بهذا المعنى لازم من لوازم الإيمان بربوبيته تعالى ، فهو حقيقة يقتضي الالتزام بها ذلك الإقرار الفطري ،

---

[٣٢] الحجة في بيان المحجة ، لأبي القاسم التيمي : ٢٦٨.

[٣٣] السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد : ٣٦.

ولهذا كان يأتي تقريره في الكتاب والسنة بطريق الإلزام بتوحيد الربوبية قال تعالى : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} (الزمر:٣٨)

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو توحيده تعالى بماله من أسماء وصفات خص بها نفسه فى كتابه الكريم ،وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ،يكون بإثباتها له على جهة تنتفي فيها كل موجبات النقص المنافي لتمام كماله وجلاله ،من التمثيل والتعطيل والتحريف والتكييف، قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)

ومن أدلة التوحيد العلمي (الروبية والأسماء والصفات) : سورة الإخلاص ، قال تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.اللَّهُ الصَّمَد} ، وغيرها من الآيات الكريمة ، فإثبات الأحدية لله تضمن نفي المشاركة والمماثلة ، وهذا هو توحيد التنزيه ، وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة ؛ تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى ، وهذا هو توحيد الإثبات[٣٤] .

ونجد هذا التقسيم الصحيح لا وجود ل ه في كلام الحبشي وذلك لأنه قد تابع اعتقاد المتكلمين في فهم التوحيد ، وبالتالي تفسير الشهادة على وفقه ؛ فإنهم لما اعتقدوا أن معنى التوحيد ينحصر في إثبات ربوبية الله تعالى ، قاموا بتفسير الشهادة التي يعلن بها الدخول في الإسلام بما يوافق ذلك ، حيث فسروا الإله بأنه القادر على الاختراع ، وهذا ما حكاه ابن فورك والبغدادي عن الأشعري ، يقول ابن فورك : " و اختار ـ أي الأشعري ـ أن معنى وصفنا له أنه إله : أن له الإلهية ، وفسر الإلهية بأنها هي قدرته على اختراع الجواهر والأعراض ، وذكر أن ذلك أحد الأقاويل المقولة في معنى الإله".[٣٥]

---

[٣٤] شرح العقيدة الواسطية، العلامة محمد خليل هراس : ٨٢. انظر أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الأمام أبو جعفر الطحاوي : ٢٦.٢٣، تحقيق عبد المنعم العزي .

[٣٥] مجرد مقالات الأشعري :٤٧. وانظر كلام البغدادي بنفس المعنى في :أصول الدين :١٢٣.

وبهذا صار مفهوم التوحيد ينحصر في تقرير الاعتقاد العلمي : توحيد المعرفة والإثبات وأغفلوا الجانب الأعظم منه وهو توحيد الإرادة والطلب .

لاشك أن في تفسير المتكلمين للشهادة على النحو الذي ذهبوا إليه مخالفة جلية لحقيقة التوحيد الذي دعا إليه الرسل بقولهم : {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} ، إذ يلزم من كون الشهادة مفتاح الدين ، وأساسه المتين أن تدل على المعتقد الذي تكون النجاة به بالمطابقة ، وهو : إفراد الله تعالى بالعبادة ، لذلك كان تفسير الشهادة الصحيح هو : لا معبود بحق إلا الله . ويستند هذا التفسير إلى دلالة اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، فإن كلمة إله مأخوذة من التأله ، والتأله في لغة العرب معناه : التنسك والتعبد.[٣٦] يشهد له قراءة ابن عباس رضي الله عنهما : {ويذرك وإلهتك} (الأعراف:١٢٧) ، قال: "وعبادتك" .[٣٧]

وليس بمخرج للهري ما ذكره من تفسير العبادة بجزء من معناها وهو التذلل لأن العبادة المستحقة للإله الحق تبارك وتعالى يدخل فيها سائر أنواع العبادات القلبية والفعلية والقولية ، فالعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة "[٣٨]

والواضح من كلامه أنه أراد بهذا التفسير أن يخرج أفعال أهل الضلال من أصحاب الطرق وغيرهم عن دائرة الشرك بسبب غلوهم في الصالحين ، ونسي هذا و من أعظم دواعي الشرك ، الغلو في الأنبياء والصالحين ؛ فالغلو هو السبب في أول شرك ظهر على وجه الأرض ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن وداً و سواعاً و يغوث و يعوق و نسراً أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا ، وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك و تنسخ العلم عبدت .[٣٩]

---

[٣٦] انظر لسان العرب :٤٦٩/١٣.

[٣٧] أخرجه ابن جرير في جامع البيان :(٥٤/١).

[٣٨] العبودية ، لابن تيمية :١.

[٣٩] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير . باب قوله تعالى:(ودا ولا سواعا..)، رقم الحديث:٤٩٢٠.

لهذا كان تحذير النبي عليه الصلاة والسلام شديداً من مجاوزة الحد في مدحه ، حيث قال : { لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبده، فقولوا : عبد الله ورسوله}[40].

ومن ذلك ما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه : (لعن الله اليهود و النصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد } قالت : لولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجداً) .[41]

إذ التوسل بذوات الصالحين بريد لاعتقاد قدرتهم على التصرف بدفع الضر أو جلب النفع ؛ لذلك حذر العلماء من ذلك ببيان ما يؤدي إليه من مفاسد جسيمة ، وليس بمخرج لهم اعتقاد أنهم عبيد ليس لهم استقلال في التصرف ؛ فقد بينت النصوص الشرعية أن هذه هي حجة المشركين الذين أقروا بربوبية الله تعالى ، وأرادوا التوسل إليه بعبادة الأصنام ، قال تعالى : {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (الزخرف: ٨٧)

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : " فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له ، وأن لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين السبع ومن فيهن ، كلهم عبيده وتحت تصرفه.. وأن أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة".[42]

---

[40] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأنبياء . باب قوله تعالى:(واذكر في الكتاب مريم)، رقم الحديث:٣٤٤٥.

[41] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز . باب ما جاء في قبر النبي ﷺ و أبي بكر و عمر رضي الله عنهما ،برقم : ١٣٩٠.

[42] كشف الشبهات :٧١.

قال تعالى : {أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (الزمر: ٣)

وقد أبطل سبحانه حجة المشركين في التوسل بهم ، حيث قال : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً.أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} (الإسراء: ٥٦-٥٧)

وبهذا يعلم أن من توسل بالصالحين فصرف شيئاً من العبادة التي لا يستحقها أحد إلا الله لأحدهم ، بحجة أن له جاه عنده سبحانه ، فقد أتى بما هو من جنس فعل المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان هذا التوسل بالدعاء ، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله يخطب ويقول : (إن الدعاء هو العبادة)[٤٣] أو بأي نوع آخر منها.

فصار شركهم أعظم ممن اعتقد التوسل بها كحال مشركي قريش ، يقول شيخ الإسلام :" وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم ، لما كانوا من جنس عباد الأوثان ؛ صار الشيطان يضلهم ويغويهم ، كما يضل عباد الأصنام ويغويهم ، فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاث به ، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة ، كما تخاطب الشياطين الكهان ".[٤٤]

* * * * * *

[٤٣] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير . باب ومن سورة المؤمن ، رقم الحديث:٣٢٤٧ و قال الترمذي: حديث حسن صحيح :(٣٤٩/٥)، و قال الحافظ ابن حجر إسناده جيد :الفتح(٤٩/١).و صححه الألباني في صحيح الترمذي ، برقم:٢٥٩٠:(١٠١/٣).

[٤٤] قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة :٣٠٠.

آراؤهم في الإيمان بالقدر

أولا :أهمية الإيمان بالقدر وأدلته

يبين مؤسس فرقة الأحباش أن مما يجب على المسلم اعتقاده : الإِيمان بالقدر خيره وشرّه .ومعنى ذلك أن كل ما دخل في الوجود من خيرٍ وشر هو بتقدير الله الأَزلي

ويستدل لتعلق كل شيء في حياة الإنسان بمشيئة الله بعدد من الأحاديث بعضها موصول والبعض مرفوع ومن ذلك ، حديث عليّ ابن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"مَن سرَّه أن يمُدَّ الله في عُمُره ويوسّع له رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتّق الله وليصل رحمه"**.

ثم ذكر عددا من الأدلة التي تفيد الإيمان بالقدر أو بمرتبة من مراتبه :

عن ابن عبّاس قال: "لا ينفع الحذر من القدر ولكن الله عزَّ وجلّ يمحو بالدعاء ما شاء من القدر". انتهى.

و عن عكرمة عن ابن عبّاس في قول الله عزَّ وجلَّ: **{ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}** [سورة الرعد] قال: يمحو الله ما يشاء من أحد الكتابين، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت **{وعنده أم الكتاب}** أي جملة الكتاب. انتهى.

واعلم أنَّ الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم : **"والقدر خيره وشرّه"** يعود إلى القدر باعتباره بمعنى المقدور لا التقدير الذي هو صفة أزليّة أبديّة لله.[45]

ثانيا : مسألة خلق أفعال العباد

يقرر الحبشي أن أفعال العباد كلها مقدرة ويفرق مع ذلك بين الإرادة والمحبة ، يقول :" فالخير من أعمال العباد بتقدير الله ومحبَّته ورضاه، والشرّ من أعمال العباد بتقدير الله لا بمحبَّته ورضاه ، قال تعالى : **{واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه}** [سورة الأنفال].قال ابن عبّاس: يحول بين الكافر والإِيمان، وبين المؤمن والكفر. روى ذلك البيهقي في كتاب القَدَر والحاكم في المستدرك.

وقد ورد في حديث جبريل الصحيح المشهور لفظ: **"والقدر خيره وشرّه"** رواه مسلم، وفي لفظ: **"والقدر كلّه"**.

ويقول مقررا مبددأ الكسب قي نفي التعارض بين القدر والشرع المتعلقين بأفعال العباد :"أن كل ما دخل في الوجود أي وُجدَ بعد أن كان معدومًا من الأعيان أي الأجسام ونحوها مما

[45] مختصر عبد الله الهرري : ٢٠، وانظر العقيدة الحقة

يقوم بذاته، والأعمال والنوايا والخواطر هو بخلق الله تعالى، وهذا موافق ومنسجم مع قول النبيّ صلى الله عليه وسلم : **"إن قلوب بني ءادم بين إصبعين من أصابع الرَّحمن يقلبها كيف يشاء"**؛ فيدخل في ذلك أعمال العباد الاختيارية وغير الاختيارية، وخالفت في ذلك المعتزلة في أفعال العبد الاختيارية فقالت: إن العبد هو خالقها.فكفَّرهم العلماء المحقّقون كأبي منصور البغدادي، والإمام البُلقيني _ وهو من أكابر أصحاب الوجوه من الشافعية، والإمام أبي الحسن شيث بن إبراهيم المالكي وغيرهم؛ وكذَّبت في ذلك المعتزلة قول الله تعالى: **{وخلق كل شيء}**وقوله **{هل من خالق غير الله}** وغيرهما، ومعنى الخلق هنا الإبراز من العدم إلى الوجود؛ ولفظة شيء في هذا الموضع شاملة لكل ما دخل في الوجود.

ثم إنه لا يصح أن تكون الطبيعة خالقة لشيء من الأشياء لأن الطبيعة لا إرادة لها ولا مشيئة ولا اختيار، وكذلك العلّة لا يصح أن تكون خالقة لشيء من الأشياء فليس للعبد من عمله إلا الكسب وهو توجيه العبد قصده وإرادته نحو العمل فيخلقه الله عند ذلك قال تعالى: **{لها ما كسبت}** أي من الخير **{وعليها ما اكتسبت}** أي من الشر.فأثبت الله تعالى الخلق لنفسه وتمدَّح بذلك لأنه شيء يختص به، وأثبت للعبد الكسب. وهذا هو المذهب الحقّ.[٤٦]

نقد آرائهم في القدر

أصل معنى القضاء في اللغة هو : إحكام الشيء وإتقانه، وإلى هذا أشار ابن فارس حيث قال : " القاف و الضاد و الحرف المعتل أصل صحيح ، يدل على إحكام أمر و إتقانه وإنفاذه لجهته "[٤٧] .

أما القدر فله معان متعددة ؛ كلها ترجع إلى مبلغ الشيء وكنهه و نهايته ، فـ" القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[٤٨]

---

[٤٦] مختصر عبد الله الهرري : ١٨.

[٤٧] معجم مقاييس اللغة :(٩٩/٥). وانظر لسان العرب: (٣٦٦٥/٦) .

وفي الاصطلاح فإن معنى القضاء والقدر هو تعلق علم الله تعالى بالكائنات ، وإرادته لها أزلاً قبل وجودها ، فلا حادث إلا وقد قدره ، أي سبق علمه به،وتعلقت به إرادته [49].

أما عن مكانة الإيمان بقضاء الله وقدره : خيره و شره ، فإنه ركن من أركان الإيمان ، حيث إن حقيقة الإيمان به هي الإيمان بالله تعالى، فإن الباعث الحق على الإيمان بهما هو الموجب لذلك من الرضى بربوبيته تعالى متصفاً بأسمائه وصفاته الحسنى[50]

ـ والأصل في عد الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ، لا يقبل الله تعالى إيمان عبد إلا بتحققه منه : الأدلة التي وردت في الكتاب والسنة، منها قوله تعالى : {إنا كل شيء خلقناه بقدر} (القمر:٤٨)؛ فهذا نص من المولى تعالى على أن جميع المخلوقات إنما تحقق وجودها وفقا لما قدره تعالى بشأنها [51]

أما الأدلة من السنة فأعظمها دلالة حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي قال فيه المصطفى صلى الله عليه و سلم حين سئل عن الإيمان : {أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و تؤمن بالقدر خيره و شره}[52].

وهنا لابد من بيان مراتب القدر لأن كلام الحبشي عام فلم يذكر شيئا يتعلق بتفصيل المراتب كما هو معتبر عند الكثير من أهل العلم :

أولا : مرتبة العلم ، فالله تعالى قد وسع علمه كل شيء ، قال تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } (الأنعام :٥٩)

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل عن أولاد المشركين ، فقال : { الله أعلم بما كانوا عاملين }[53] .

---

[48] معجم مقاييس اللغة : (٦٢/٥).

[49] انظر شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ صالح الفوزان : ١٦٢.وانظر القضاء والقدر د/عبد الرحمن المحمود.

[50] انظر مدارج السالكين :(١٨١/٢).

[51] انظر تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : (٣٣٩/٤).

[52] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان . باب الإيمان والإسلام والإحسان :(١٥٧/١).

[53] أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب القدر . باب الله أعلم بما كانوا عاملين ، رقم الحديث:

ثانيا : مرتبة الكتابة ؛ وتعني أن الله تعالى قد كتب مقادير المخلوقات ، وأصل الكتابة ما كتب في اللوح المحفوظ ، قال تعالى : { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (الأنعام: ٣٨).

ومن السنة قول المصطفى صلى الله عليه و سلم : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وعرشه على الماء). [٥٤]

ثالثا : مرتبة المشيئة ؛ وتعني الإيمان الجازم بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله تعالى ، فما شاء الله كان ، و ما لم يشأ لم يكن .

قال تعالى : { وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً.إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً } (الكهف: ٢٣,٢٤).

ومن السنة المطهرة قول النبي صلى الله عليه و سلم للرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت : (أ جعلتني والله عدلاً ، بل ما شاء الله و حده) .

رابعا : مرتبة الخلق ؛ وهي الاعتقاد الجازم بأنه ما من موجود بعد الواحد الأحد ، إلا وهو خلق من خلق الله تعالى ، ويدخل في ذلك أفعال العباد، فهي مخلوقة له سبحانه وتعالى .

قال تعالى : { قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد: ١٦).

ووجه الاستدلال بهذه الآية هو التقسيم الوارد في معنى (ما) : فإما أن تكون ما هنا مصدرية فيصير المعنى : والله خلقكم وعملكم ، أو موصولة فيكون المعنى : والله خلقكم والذي تعملونه من أصنام ، وكلا المعنيين بينهما تلازم ، إذ يلزم من كونه تعالى خالقا للصنعة ؛ أن يكون خالقا للفعل الذي أنتجها ، وكذلك إذا كان خالقا للعمل ؛ أن يكون ما ينتج عنه مخلوقاً له . [٥٥]

---

٥٤ أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب القدر . باب حجاج آدم موسى:(٢٠٣/١٦).

٥٥ انظر: تفسير ابن كثير:(١٩/٤).

وتأتي مناقشة الحبشي في قضية الكسب التي قرر فيها مذهب الأشاعرة في محاولة التوسط بين المعتزلة والجبرية ،والصحيح أنها محاولة لم يكتب لها النجاح ، والصحيح ما عليه السلف الذين أحسنوا التوسط بين هذين التيارين المتعاكسين ، فلم يغلبوا جانبا على آخر ، فإن معتقدهم فيما يتعلق بأفعال العباد يقوم على أصلين :

الأول : أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ، فالمعتقد الصحيح في كل ما هو موجود يستند إلى مبدأ الثنائية ، تلك الحقيقة التي أشارت إليها الفاتحة في قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، فأثبتت الرب الواحد ، والمربوب وهو العالم بأسره ، ولا تخرج أفعال العباد عن أن تكون مربوبة لله تعالى ؛ لعموم ربوبيته ، وتدبيره لشؤون خلقه ، وهذا ما دل عليه صراحة قوله تعالى : (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ، ثم إن أفعال العباد متعلقة بقدرة الله تعالى النافذة في كل ما هو ممكن ، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

الثاني : الإيمان التام بحقيقة الشرع الذي أثبته المولى تعالى لنفسه في محكم التنزيل ، والإيمان بما يقتضيه الإقرار به من التكليف ، وما يستلزمه من صحة نسبة القدرة على الفعل للعبد ، بل وتأثيرها فيه على جهة الحقيقة ، وذلك ضمن دائرة السببية ، قال تعالى : { إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا }(الإنسان :٢) .

وهذا ما يناقش فيه الحبشي متبعا من قبله من الأشاعرة ، فعلى الرغم من هذه المحاولات العديدة من الأشاعرة في رفض الجبر عقيدة ومذهبا ، وإضفاء نوع من الواقعية لفكرة الكسب ؛ حتى تبعده عن مذهب الجبر ، إلا أن الرازي وهو العالم بخفايا المذهب ، الواقف على أغوار مراميه ، يتفطن إلى أن المراد بالكسب تقرير مذهب الجبر ، ويدعم موقفه هذا بالأدلة التي يرى فيها تأييدا لما ذهب إليه ؛ فيستدل على أمرين ليصل بنتيجتيهما إلى ما يريد من تقرير الجبر : خلق أفعال العباد بدليل الإمكان ؛ إذ لا تخرج عن كونها إما ممكنة ، أو

واجبة .   ولما استحال وجوبها ؛ إذ لا يرجح وجودها على عدمه إلا بمرجح ، لم يبق إلا كونها ممكنة ؛ بمعنى مخلوقة " . [ين]

فالاستحالة في نظرية الكسب واضحة؛ لأنها محاولة في التوسط بين الاختيار والجبر ، والحقيقة أنه لا توسط بينهما ، ولا بد من القول بأحدهما في نهاية المطاف ، وهذه هي حقيقة الكسب ؛ تنظير للجبر بقالب الاختيار ؛ فإن نزع التأثير من فعل العبد تماماً وإرجاع حصول الفعل عند قدرته إلى مجرد الاقتران ينفي تماما صورة الاختيار عن فعل العبد ، ويقضي بالجبر الذي يحاولون الفرار منه.

والصحيح أن العبد مختار وأنه فاعل فعله وأن الله تعالى هو الخالق لفعله كما يشاء تعالى ، أساس هذا إثبات السببية على جهة الحقيقة ، وأن في الأسباب قوة أوجدها الله تعالى فيها ، تستمد منها وجودها وفاعليتها ، والمذهب الأشعري في نفيه للأسباب يغالط مبدأ من أسمى مبادئ التفكير الإنساني ، الذي وهبه الله تعالى للعقل البشري، والذي يعد الدليل الأول ، والمقدمة الأولى ، التي لا نزاع في التسليم لها ؛ للاستدلال على وجوده سبحانه.   يقول شيخ الإسلام رحمه الله مفصلاً منهج السلف الكرام في قضية السبب : " الذي عليه السلف وأتباعهم ، وأئمة أهل السنة وجمهور الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب ، وأن قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها ، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات ، والأسباب ليست مستقلة بالمسببات ، بل لا بد لها من أسباب أخر تعاونها ، ولها مع ذلك أضداد تمانعها ، والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه ، ويدفع عنه أضداده المعارضة له ، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته ، كما يخلق سائر المخلوقات ، فقدرة العبد سبب من الأسباب ، وفعل العبد لا يكون بها وحدها ، بل لابد من الإرادة الجازمة مع القدرة .."[1]

---

[٥٦] المباحث المشرقية للرازي:(٢/٥٤٤).

(١) مجموع الفتاوى:(٨/٤٨٧).

والحقيقة أن الخروج عن نهج الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح أساس لكل ضلال و بلاء ، فالتسليم بالقدر دون جدال ومراء من أعظم أسس الإيمان بهذا الركن العظيم من أركان الإيمان ذلكم أنه قد نهي عن الجدال في القدر والخوض فيه بلا علم فالله تعالى لم يأمر عباده ولم يتعبدهم بكيفية القدر ؛ ولكن تعبدهم بالتسليم له ، مع عدم ضرب نصوص الدين بعضها ببعض ، يقول الإمام الطحاوي: " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فإن الله طوى علم القدر عن الأنام ، ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى في كتابه : { لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } (الأنبياء:٢٣) ، فمن سأل : لم فعل فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين " [٥٧]

آثر آراء الأحباش على الأمة عقيدة وشريعة

مما تقدم يتبين خطر اعتقاد الأحباش على الأمة فالتوحيد عند الأحباش هو توحيد الربوبية فقط ، وهو توحيد الله بأفعاله ،كالاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق .. وقد تأثروا في ذلك بالفلاسفة والمتكلمين ،وهذا التوحيد آمن به حتى مشركو قريش ، يقول (تعالى) : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[العنكبوت : ٦١] ويقول :وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾

[العنكبوت : ٦٣] ، ولكن هذا التوحيد لم يكتمل لديهم ، ولو اكتمل لم ينفعهم ؛ لأنه يلزم معه توحيد الألوهية ، وهو توحيد الله بأفعال العباد ، كالدعاء ، والاستغاثة ،والاستعانة ،والاستعاذة ..

[٥٧] شرح العقيدة الطحاوية:٢٤٩.

والأحباش هم أعظم النـاس نقضاً لتوحيـد الألوهيـة ؛ حيـث أبـاحوا الشـرك الأكـبر ،كدعاء الأولياء ، والأموات ، والاستغاثة بهم .. وفي هذا يقول شيخهم كما تقـدم بيانـه : (الاستغاثة بغير الله والاستعانة لا تعتبر شركاً ، كما زعم بعض النـاس ، فلـو قـال قائـل : يارسول الله .. المدد ! ، فهو صار كافراً عندهم) ويقول: (إنـي لأعجـب مـن هـؤلاء الـذين يكفرون المسلمين لمجرد التمسح بقبر وليّ أو قولهم : يا رسـول الله المـدد) ، وقـال شـيخهم عن حكم من يستغيث بالأموات ويدعوهم ، كأن يقول : ياسيد يا بدوي أغثني ، يا سـيدي دسوقي المدد .. فقال : (يجوز ذلك ، فإنه يجوز أغـثني يـا بـدوي ، سـاعدني يـا بـدوي) فقيل له : إن الأرواح تكون في برزخ معين ،فكيـف يسـتغاث بهـم وهـم بعيـدون ؟ فأجـاب بقوله : (الله (تعالى) يكرمهم بـأن يسـمعهم كلامـاً بعيـداً وهـم في قبـورهم ، فيـدعون لهـذا الإنسان وينقذه ، وأحياناً : يخرجون مـن قبـورهم فيقضـون حـوائج المسـتغيثين بهـم ، ثـم يعودون إلى قبورهم.

وهذا والله من أعظم الشرك والعياذ بالله ، وكأنهم لا يقرؤون قول الله (تعالى) : وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[الجن : ١٨] كما قدمت سابقا.

*****

هذا والأحباش يجمعون بين الجفاء والغلو في ما يجب للنبي صلى الله عليه وسـلم مـن حق ، فهم غلاة في مواطن ، وجفاة في مواطن أخرى ؛ حيث يستغيثون به ، ويطلبون منه المدد والعون ، ويجعلون ذلك من القربات ومن دواعي محبته ، بـل مـن لوازمهـا أحيانـاً ، فهم مخالفون معاندون لأمره وهديه –صلى الله عليه وسلم– ، حيث قال : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله) ، وعندما قال أحـد أصحابه : ما شاء الله وشئت ، قال : (جعلتني لله عدلاً ، ما شاء الله وحده) .

ومن جهة أخرى : فالأحباش مجحفون في حقه –صلى الله عليه وسلم– بعدم اتباعهم هديه ، ثم بقولهم وإعلانهم أنه يكفي أن يصلي المسلم على النبي –صـلى الله عليـه وسـلم– مرة واحدة في عمره كله .. وأهـل السـنة والجماعـة الـذين يـدعي هـؤلاءأنهم مـنهم يقولـون بمشروعية وتأكيد الصلاة عليه –صلى الله عليه وسلم– في مواطن كثيرة ، وأن تاركها آثـم ،

وخاصة عند ذكره –صلى الله عليه وسلم– ، حيث قال :(رَغِمَ أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليّ)، وقال أيضاً : (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ) ، والأحباش مخالفون لسنته –صلى الله عليه وسلم– أشد الخلاف ، ولهم شغف بالبدع ، كبدعة الاستغاثة به – صلى الله عليه

وسلم– ، وبدعة الاحتفال بالمولد النبوي ، وهذه من ضروريات مذهبهم ، وهم يحتفلون بها على أكبر نطاق ، ويقيمون لذلك صالات الاحتفالات الكبيرة ،ويحتفلون بالمناسبات البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ويملؤون الشوارع بإعلاناتهم لذلك ، بل إنه في بعض البلاد ينقل التلفزيون هذه الاحتفالات باسم الإسلام . يقول الحبشي :" من البدع الحسنة الاحتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا العمل لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا فيما يليه، إنما أحدث في أوائل القرن السابع للهجرة، وأول من أحدثه ملك إربل وكان عالمًا تقيًّا شجاعًا يقال له المظفر"[٥٨].

ولا يكتفي الأحباش بهذه البدع ، بل تعدى ذلك إلى خرافات المتصوفة وانحرافاتهم ، فهم أي الأحباش يعظّمون أئمة يعظّمون أئمة التصوف الزنادقة ، ويترضون عنه ويطعنون فيمن يتكلم فيهم بسوء ، ويتهمونه بأنه يكفّر علماء المسلمين .[٥٩]

لم يكتف الأحباش بالفساد في العقيدة ، بل تعدوا ذلك إلى الفساد في السلوك . وللأحباش فقه عجيب يدعو إلى التبرج والفجور والمجون، فهم يقللون من شأن المعاصي ، مثل لمس المرأة الأجنبية ، بل ومفاخذتها !

فيجيزونه بحجة أن ذلك من الصغائر ، وذلك لترويج مذهبهم بين الشباب المراهق المنحل وأصحاب النفوس المريضة ، ويفتي الأحباش بجواز الاختلاط بين الرجال والنساء ، بل يجيزون للمرأة أن تخرج من بيتها متعطرة متزينة ، إذا لم تُرِدْ فتنة الرجال ! ويستدل شيخهم على ذلك بحديث : (أيما امرأة

استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية) ، حيث قال شيخهم : (فقوله : (ليجدوا ريحها) بيان منه أنه لا يحرم على المرأة خروجها متطيبة إلا إذا كان

---

[٥٨] الروائح الزكية في مولد خير البرية ، عبد الله الحبشي : ٥

[٥٩] انظر جماعة الأحباش حقيقتهم وآراؤهم ، عبد الرحمن الحجاج .

قصدها ذلك) ، ولو كان عند هذا الرجل مثقال ذرة من فقه لَعَلِم أن اللام في الحديث ليست للتعليل ، بل للصيرورة والعاقبة ، كما في قوله (تعالى) : ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً ﴾[القصص : ٨] ، أي : ليكون عاقبة أمره أو ليصير لهم عدوّاً وحزناً ، فهم لم يلتقطوه من أجل أن يكون لهم عدوّاً وحزناً ،فهذا لا يقول به عاقل ، بل التقطوه ليكون قرة عين لامرأة فرعون ، فمعنى الحديث : أن أي امرأة استعطرت ثم خرجت ستكون نتيجة ذلك أن يجد الناس ريحها ، وهذا التأويل الذي قاله الحبشي إذا لم يدل على الجهل المطبق ، فإنه يدل على تعمد إفساد نساء المسلمين ؛ وذلك لأن الأحاديث الواردة في الترهيب من خروج المرأة كثيرة معلومة ، كقوله : (أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل) ، وقوله : (أيما امرأة أصابت بخوراً ، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة).

ونساء الأحباش في ظل هذا الفقه الأعوج يلبسن الثياب الشفافة الضيقة التي يرى باطن الجسم من ظاهرها ، بزعم أن الواجب هو ستر البشرة ، كما أفتى لهم مشايخهم ، وعندما سئل أحد شيوخهم : إن كثيراً من نساء الأحباش يمشين بين الرجال الأجانب بالبنطلون الضيق جدّاً (الّجينز) ! ، قال : (إننا نجمع بين الموضة والسترة).

هذا ما يقوله الأحباش ، أما محمد –صلى الله عليه وسلم– فيقول : (صنفان من أهل النار لم أرهما) ، وذكر : (نساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ،رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا). ولعلنا نختم هذه الإلماحة بفتوى إباحية عجيبة لشيخهم ، حيث يقول : (إن مجامعة الخنثى في نهار رمضان لا تفطر ، إذا جومع في آلته الزائدة)! ! ! و (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

وقد خرج الحبشي بفتاوى على الأمة الإسلامية ، فهو يبيح بيع الصبي الحر وشراءه ، ويبطل زكاة المال لأن المال في أيدي الناس عملة ورقية ، والزكاة إنما تجب في الذهب والفضة .[٦٠]

---

[٦٠] انظر التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، د/ محمود مزروعة : ١١٤.

******

موقفهم من علماء الأمة

أولا عقيدة الأحباش في أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيها شبه كبير من عقيدة الرافضة ، فهم يقولون بلا خجل ما يقتضي الطعن في أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) ، ويفسقون صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ، بل إنهم يقولون عن كل من اشترك من الصحابة ضد علي (رضي الله عنه) : إنه من الدعاة إلى النار ، بل قد بلغت جرأة شيخهم وكأنه دخل في قلب معاوية (رضي الله عنه) فعرف ما لا يمكن أن يعرفه إلا الله (جل وعلا) أن يقول : (ثم ليُعلم أن معاوية كان قصده من هذا القتال : الدنيا ، فلقد كان به الطمع في الملك وفرط الغرام في الرئاسة) .

وقد ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال : (لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) ، وقال الله (تعالى) : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر : ١٠] .

وقد شابه الأحباش الخوارج في مسائل التكفير ، فقد كفّروا كثيراً من علماء المسلمين وأئمتهم ودعاتهم ، فهم يطعنون في الإمام الذهبي ، ويكفرون ابن خزيمة ،ويسمون كتابه (التوحيد) كتاب الشرك ، كما يُكفرون ابن القيم وابن كثير (رحمهما الله) ، أما شيخ الإسلام ابن تيمية وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب فتكفيرهما على لسان كل حبشي صباح مساء ، ولم يسلم أعلام الأمة المعاصرون من تكفير الأحباش ، وفي مقدمتهم : المشايخ : الألباني وابن باز وابن عثيمين وسيد سابق .. وغيرهم من العلماء والدعاة والمفكرين .

والأحباش يفترون على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه والسلف الصالح ، وهم يستغلون جهل أتباعهم لتمرير تلك المفتريات ، ومن أمثلة ذلك : قول شيخهم : (إن مذهب الأشاعرة والماتريدية هو مذهب رسول الله والصحابة والسلف الصالح) ، أما افتراؤهم على الأئمة والعلماء فحدث ولا حرج ، وخاصة على شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) الذي افترى عليه شيخهم ، حيث ادعى أنه قال : (إن من خالف في مسألة الطلاق فهو كافر) ، ولكن ابن تيمية يقول : (إن من خالف في مسألة الطلاق فهو مجتهد معذور مأجور عند الله).. وأمثال هذه الأكاذيب كثيرة جدّاً في كتب شيخهم ، سواء على شيخ الإسلام أو غيره من علماء أهل السنة والجماعة [٦١] .

وقد تكلم على هذه الفئة علماء أجلاء منهم : فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز

* * * * * * *

أقوال أهل العلم فيهم

ذكر الأحباش عند الشيخ ابن باز رحمه الله فقال فيهم : (إن هذه الفئة معروفة لدينا وهي فئة ضالة ، ورئيسها عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله والواجب مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم) . وذكر سعد الدين خالد ابن الشيخ حسن خالد – رحمه الله – مفتي لبنان : (

---

[٦١] انظر المرجع السابق .

إن هؤلاء ليسوا بعيدين عن مخططات أعداء الإسلام في نشر الفُرقة والآراء الشاذة ليشغلوا المسلمين بها) "[٦٢].

موقف الأزهر منهم :

يقول عبد الرحمن دمشقية :" لطالما طار الأحباش بتلك المقابلة التي تمت بينهم وبين مدير الأزهر الدكتور أحمد عمر هاشم وكذبوا معها مائة كذبة. فزعموا أنه تم الاتفاق على تكليف الأحباش ببناء فرع لجامعة الأزهر في لبنان. وعلقوا هذا الأكاذيب على مواقعهم على الإنترنت وخدعوا بها الكثيرين، وذلك بهدف الخروج من العزلة التي تعاني منها هذه الفرقة. ولكن أراد الله أن تكون هذه الخطوة من الأحباش سببا لخراب بيوتهم بأيديهم. ولتدفع بهم نحو مزيد من العزلة وازدراء الناس لها. جزاء وفاقا على سبهم للعلماء وتكفيرهم وتوليهم أعداء المسلمين. الأحباش يسبون الوهابية وينتسبون إلى المذهب الأشعري. وهم لن يستطيعوا أن يتهموا إدارة الأزهر بأنهم وهابيون، بل هم عندهم أشعريون. وهنا قاصمة الظهر للأحباش قد جاءتهم من الأزهر فلو أنهم لم يجروا المقابلة مع الدكتور هاشم لكن أستر لحالهم لكن: أراد الله أن يفضحهم ويهتك سترهم. فلقد عرف الدكتور أحمد عمر هاشم حقيقتهم وأنهم فرقة تكفيرية حكمت بكفر كبار رموز علماء المسلمين وجعلت ذلك مبدأها وديدنها ليل نهار، بل ويشترطون على المنتمي إليهم سب وتكفير ابن تيمية وابن القيم وشتم الإمام الذهبي وجماعة من أهل العلم المتقدمين منهم والمتأخرين. وقد جاء في نص الرسالة التي أرسلها الدكتور أحمد عمر هاشم إلى مدير رابطة العالم الإسلامي ما يلي: بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فقد أخبرني بما نمى إليكم من وجود تعاون بين جامعة الأزهر وبين من يسمون بالأحباش في لبنان. وحيث أنني لم أزر لبنان إلا منذ عامين، وقد تعرضت أثناء هذه الزيارة لمحاولات التأثير من جانب بعض الجهات، عندما قُدِّمَتْ إليّ مذكرة كمشروع اتفاقية للتوقيع عليها، وبعد أن عرفت من سفير مصر في لبنان وبعض الجهات الأخرى عدم سلامة هذه الجمعية وعدم مصداقيتها وعدم

[٦٢] المرجع السابق.

سلامة تفكيرها قطعنا العلاقة بهم وألغينا كل ما طلبوه، ولم تعد بيننا وبينهم أية علاقة، وليس بين جامعة الأزهر وبينهم أي صورة من صور الإعتراف أو التعاون، وكل الأوراق التي تفيد غير ذلك لا أساس لها من الصحة. ولهذا يسرني أن أفيدكم بعدم صحة ما نسب إلينا أو إلى جامعة الأزهر. نحن نرفض كل محاولات استغلال اسم جامعة الأزهر العريقة من قبل الهيئات أو الجمعيات التي لا تلتزم التزاما كاملا وواضحا بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتقبلوا خالص تحياتي واحترامي؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أخوكم الدكتور أحمد عمر هاشم – رئيس جامعة الأزهر كتب الدكتور أحمد عمر هاشم الخطاب يوم الثلاثاء بتاريخ: (٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٨ أغسطس ٢٠٠١ م). وتم إرساله بالفاكس الى مكتب مدير رابطة العالم الإسلامي يوم الإثنين بتاريخ: (١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ الموافق ٣ سبتمبر ٢٠٠١ م). الساعة الواحدة وأربعون دقيقة بعد الظهر. هذا نص الرسالة بالحرف الواحد. والتي تصف الأحباش بعدم سلامة التفكير والمنهج وعدم الالتزام بالقرآن والسنة، والبراءة من أي علاقة أو تعاون بينها وبين الأزهر ".[٦٣]

* * * * * * *

[٦٣]: www.antihabashis.com

الخاتمة

في نهاية هذا البحث المتواضع الذي حاولت فيه أن أبرز أهم المعالم التي تميز فرقة الأحباش عن غيرهم ومن ثم توجيه النقد لمواطن الاختلاف والاضطراب ؛ فإني أجمل ما توصلت إليه هنا :

ـ مؤسس فرقة الأحباش هو عبد الله الهرري وهو حبشي اختلف في حقيقة شخصيته وما نسب إليه مريدوه في ترجمتهم له.

ـ يحاول الأحباش الانتساب إلى المذهب الأشعري في باب العقائد

ـ فرقة الأحباش من أشد الفرق نشرا للبدع والشركيات في بلاد الإسلام.

ـ يحارب الأحباش علماء السنة جهرا وبلا رادع خوف أو خجل .

ـ تهدف هذه الفرقة لزعزعة المسلمات الشرعية في الحفاظ على طهارة المجتمع المسلم ومنع عوامل الإفساد فيه .

ـ فرقة الأحباش معول هدم في أيدي أعداء الإسلام يحاولون فيه تدمير العقيدة والشريعة الإسلامية.

ـ على كل غيور لعقيدته أن يبين ضلال هذه الفرقة ويحذر العوام من خطرها خصوصا وأن لها قناة فضائية ومواقع على الأنترنت تلبس على الناس أمرها فلربما يضل آحادهم بسبب ما يبثونه من خلال إعلامهم الفاسد .

* * * * * * * *

مراجع

ـ إثبات تنزيه الله تعالى عن المكان من القرآن والحديث ومن أقوال السلف ، عبد الله الحبشي .

- إرشاد، للجويني . تحقيق:محمد يوسف موسى . مكتبة الخانجي ، بمصر .

ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد و ابن عبد البر. طبعة وزارة الأوقاف في المغرب.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ـ الطبعة الأولى ـ دار المغني الرياض .

ـ جامع الرسائل ،لابن تيمية . تحقيق:محمد رشاد سالم . الطبعة الأولى:١٤٠٥. مكتبة الخانجي.

ـ السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل . تحقيق:محمد سعيد قحطاني . دار رمادي للنشر.

ـ شبهات أهل الفتنة ، وأجوبة أهل السنة ، عبد الرحمن دمشقية .دار الجاري. لبنان

ـ شرح الصفات الثلاث عشرة الواجبة لله ، للحبشي . دار المشاريع . الطبعة الثانية

ـ شرح العقيدة الواسطية ، صالح الفوزان . الطبعة الخامسة :١٤١٠. مكتبة المعارف.

- شرح المقاصد ، مسعود سعد الدين التفتزاني . تحقيق:عبد الرحمن عميرة . الطبعة الأولى:١٤٠٩. عالم الكتب،بيروت.

ـ العبودية ، لشيخ الإسلام . تحقيق: علي حسن عبد الحميد . الطبعة الأولى : ١٤١٢هـ . دار الأصالة ، الأردن.

- العقيدة الحقة : عبد الله الهرري.دار المشاريع الطبعة الثانية.

ـ فرقة الأحباش ، د سعد الشهراني ،الطبعة الأولى ، دار عالم الفوائد.

ـ القضاء والقدر ، عبد الرحمن المحمود . الطبعة الثانية:١٤١٨. دار الوطن.
- مجرد مقالات الأشعري
ـ مجلة البيان العدد ٨:١١١، ذو القعدة :١٤١٧.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم . تحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي . الطبعة الرابعة:١٤١٧. دار الكتاب العربي.
ـ المعرفة في الإسلام ، د/عبد الله القرني . الطبعة الأولى:١٤١٩دار عالم الفوائد.
ـ أصول الدين للبغدادي دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة
ـ أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الأمام أبو جعفر الطحاوي ، تحقيق عبد المنعم العزي .تحقيق الألباني ـ الطبعة الثامنة المكتب الإسلامي .
- التدمرية ، ابن تيمية . تحقيق:محمد السعوي . الطبعة الأولى:١٤٠٥.
ـ التعريفات . السيد الشريف الجرجاني . تحقيق:عبد الرحمن عميرة . الطبعة الأولى:١٤٠٧. عالم الكتب ، بيروت.
ـ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن) . محمد بن جرير الطبري . الفيصلية:مكة المكرمة.
ـ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير .الطبعة الرابعة ، مؤسسة الريان . لبنان.
ـ التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، د/ محمود مزروعة
ـ جماعة الأحباش حقيقتهم واتجاهاتهم ، عبد الرحمن الحجاج
. الحجة في بيان المحجة ، أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي . تحقيق:محمد بن ربيع المدخلي . مطبعة الجامعة.
ـ درء تعارض العقل والنقل ، أحمد بن تيمية الحراني . تحقيق: محمد رشاد سالم . مكتبة ابن تيمية.
. الصواعق المرسلة ، لابن القيم . تحقيق:د/علي بن محمد دخيل الله . الطبعة الأولى:١٤٠٨. دار العاصمة، الرياض.
ـ الروائح الزكية في مولد خير البرية ، عبد الله الحبشي . دار المشاريع ، الطبعة الثانية .
ـ سنن الترمذي تحقيق أحمد شاكر ـ دار الحديث القاهرة .

ـ شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس . تحقيق:علوي السقاف . الطبعة الثالثة:١٤١٥. دار الهجرة للنشر.
ـ صحيح البخاري ،محمد بن إسماعيل البخاري ، المطبوع مع فتح الباري ، بترقيم .
. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الأولى:١٤٠٨. المكتب الإسلامي بيروت.
. صحيح مسلم بشرح النووي . ١٤٠١. دار الفكر .
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ،لابن حزم الظاهري ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني . ١٤٠٦هـ. دار المعرفة، بيروت .
ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، ابن تيمية . تحقيق:ربيع المدخلي . الطبعة الأولى:١٤٠٩. مكتبة لينة ، دمنهور، مصر.
ـ كشف الشبهات ، محمد بن عبد الوهاب مع والتوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات ، محمد بن عبد الله بن صالح ـ الطبعة الأولى :١٤٢٢هـ .
ـ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور . تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون . دار المعارف، بيروت.
ـ المباحث المشرقية ، الرازي ـ تحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي ـ الطبعة الأولى:١٤١٠ـ دار الكتاب العربي .
ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، تحقيق:عبد الرحمن قاسم وابنه محمد . الطبعة الأولى:١٣٨١ . مطابع الرياض .
ـ مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري ، عبد الله الحبشي .دار المشاريع الطبعة الخامسة .
ـ معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الأولى:١٤١١. دار الجيل، بيروت.
ـ مقصد الأسنى ، للغزالي

* * * * *